

## خواطر حول الموت

للدكتور حامد طاهر

الحياة مليئة بفرص كثيرة  
أما الموت ..  
فليس لنا معه سوى فرصة واحدة .  
ونحن فى العادة ننظر من الموت  
لأنه يسلبنا الحياة التى نتمسك بها  
ونحرص ، رغم قساوتها ، عليها  
كما أنها تشغلنا بأحداثها المتلاحقة  
التي تمنحنا بعض الأمل ،  
وتراود أحلامنا بالسعادة ..

الموت ذوعان :  
قد يأتى فجأة  
وأحيانا خلال النوم ،  
وقد يكون بطيئا ، وبالتدريج  
وذلك عندما تسبقه الأمراض  
وتتوقف بعض أجهزة الجسم عن العمل  
ويبدأ الإنسان رحلة العلاج  
مع الأطباء ، وفى المستشفيات  
ظنا منه أنهم سيعيدونه لكامل صحته  
ولكن هيهات !  
فالمرض هو المقدمة التمهيديّة للموت

بعض الناس يتحسّب جيدا لقدوم الموت  
فيسرع بشراء مدفن  
وقد يضع فى دولابه كفا  
وهناك من يوزع ثروته على من يحب  
أو يتبرع بجزء منها للأعمال الخيرية  
ولما شك أن هذا قد يريحه

لكنه لا يخلو من عتاب من حوله  
وأحيانا غضبهم !

وكما يكون الموت فى بعض الأحيان هادئا  
فإنه أيضا قد يكون عنيفا وساحقا  
مثلما يقع فى حادث سيارة  
أو احتراق طائرة  
أو غرق سفينة  
وهنا من يسأل :  
كيف يكون بالنسبة لهؤلاء حساب المقبر؟  
أو أسئلة منكر ونكير ؟ !

ومن أسوأ أنواع الموت  
ذلك الذى ينتظره  
المحكوم عليه بالإعدام  
فهو يكاد يموت فى كل يوم  
وإذا استلقى للنوم  
وجده مائلا فى ظلمة المكان .  
وقد تطورت أشكال الإعدام وتنوعت  
من الإحراق بالنار  
إلى قطع الرقبة بالسيف  
أو بالمقصلة  
إلى المشنق بالحبل  
أو الماختناق فى حجرة الغاز  
والمصعق بالكبرى الكهربيائى  
وأحيانا الرمى بالرصااص

لقد تحدث الفلاسفة كثيرا عن مشكلات الحياة  
لكنهم لم يتحدثوا إلا قليلا .. عن مشكلة الموت  
وهذا غير عادل  
لأن الحياة والموت حقيقتان متقابلتان  
بل إنهما طرفان لخيط واحد  
هو عمر الإنسان  
الذى يبدأ بالحياة وينتهى بالموت

وقد تعود الناس جميعا  
أن يشعروا بالحزن الشديد  
حين ينتزع الموت من أحضانهم  
أحد أحبائهم  
وهذا ما يجعلهم ينفرون من الموت  
ويخافونه  
لكنهم يكادون يتجاهلون  
أن الموت الذى فجعهم بهذه المسوة  
كان من الممكن جدا  
أن ينزعهم هم .. من وسط أحبائهم  
وأنه مهما غاب عنهم ، أو تأخر

فإنه لا محالة آت إليهم

إن الناس عموما تستثقل حديث الموت  
بل وتتشاءم منه  
لكن الكثير منهم لا يعلم  
أن الله تعالى ذكر بكل وضوح  
أنه هو (الذي خلق الموت والحياة )  
لماذا؟

لكي يستخلص صاحب العمل الأحسن  
وإذن .. فإن الأمر جد لا عبث فيه  
وهو يتطلب الكثير من العمل والمجهود والاستعداد

كيف يتعامل معظم الناس مع الموت ؟  
حين يذهبون إلى المقابر  
لدفن راحل منهم  
يقفون أمام الجثمان صامتين خاشعين  
وقد يبكي بعضهم من شدة التأثر  
لكنهم في طريق العودة  
يخوضون في أحاديث شتى  
عن إرهاب اليوم ، وأعمال الغد .  
وما أسرع ما ينسون صاحبهم الراحل  
ثم ما يلبثون أن يمارسوا حياتهم المعتادة  
وكان شيئا لم يكن .

أقدم ملاحم المشرق الأوسط  
وهي ملحمة جلجامش البابلية  
تتحدث عن بطل خارق  
كان يمتلك كل شء :  
السلطان ، والثروة ،  
والقوة البدنية المفرطة  
وحين غيب الموت أعز أصدقائه  
خرج في رحلة طويلة جدا ، وشاقة  
بحثا عن نبتة الخلود  
التي تحفظ عليه حياته  
وتصونه من الموت  
وبعد أن حصل عليها  
سرقته منه حية مأكرة  
فعاد إلى مدينته خائب المرء  
وقد أدرك أخيرا  
أنه كإنسان .. لا بد أن يموت  
مثل سائر البشر

أما أمير الشعراء أحمد شوقي  
فقد ظل طوال حياته مشغولاً بسؤال  
— ماذا يحصل للإنسان بعد وفاته ؟  
وفى معظم قصائد المرثاء لديه

كان يستصرخ المتوفى قائلاً :  
— قل لى بالله عليك : ماذا وجدت ؟  
لكن شوقى لم يدرك جيداً  
أن الجدار القائم بين الحياة والموت  
يستحيل اختراقه من أى إنسان حيٍّ  
وهذا معناه أن الموت تجربة شخصية  
شخصية جداً  
لا يعرفها إلا من دخل فيها !